لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستند الى غرض سيما
الامتثال لكنه غير واقع للاستقرا والاخبار بوقوع الشي او عدمه
لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفايدة
الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول صلى الله عليه وسلم
فضل الابلاغ ولذلك قال سوا عليهم ولم يقل سوا عليك كما قال لعبدة الاصنام
سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على
ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق
وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشي بضرب الخاتم
عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشي كالعصابة والعمامة
ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم
هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل
قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لها في الانفس
والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل
بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم
ومشاعرهم المالوفة باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
ختما وتغشية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا
تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من
حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته
اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها
بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية

ناعية

اي لا ينفع

قوله بعد العلم
اي بعد علم الرسول الخ

انه

ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه
فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن
ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله
تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به
الوادي اذا هلك وطارت به العنقا اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك
في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره
تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما
رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى
الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم
فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان
ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد
له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى
هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه
وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة
المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين
واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار
الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف

Copyright © King Saud University